الإسلام

دين رحمة وعدل

بقلم

د . أحمد بن محمد بن الصادق النجار

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الموجودات الممكنة محدثة وجدت بعد العدم، فهي لم توجد ثم وجدت، ولم تكن ثم كانت.

وهذا أمر مشاهَد؛ فلم يكن هناك مطر ثم وجد مطر، ولم تكن هناك سموات ثم وجدت السموات، ولم يكن هناك إنسان ثم وجد الإنسان، وهكذا.

وكونها محدَثة يدل على وجود محدِث لها.

وهذا أمر يدرك بالفطرة، فلو أن إنسانا ضرب طفلا، فالطفل سيقول: من ضربني؛ لأن الضرب محدَث ولا بد له من محدِث، فلا بد من ضارب.

والموجودات لا بد أن تنتهي إلى أول أوجدها، فكل مخلوق محدَث مسبوق بعدم، وكل مخلوق له خالق أوجده، فقطعا للتسلسل لا بد أن تنتهي إلى أول غير مسبوق بعدم، ولا يلحقه فناء.

والمخلوقات إما أن تكون خلقت نفسها، أو خُلقت صدفة، أو خلقها خالق، كما قال تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ ﴾ الطور: ٣٥

والمخلوق يستحيل أن يكون قد خلق نفسه من جهتين:

الأولى: أن المخلوق ممكن الوجود لا واجب الوجود؛ لكونه مسبوقا بالعدم، فعدمه قبل وجوده ينفي وجوبه، ووجوده ينفي عدمه، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه.

الثانية: المحدَث يستحيل أن يوجد نفسه؛ لأنه يلزم أن يكون موجودا قبل إيجاده لنفسه، وهذا ممتنع.

ووجود الله أمر متقرر في فطر الخلق كلهم، فالناس كلهم جبلوا على الإقرار به.

والله سبحانه هو الذي خلق الخلق، وهو المتصرف فيهم، ويعلم ما يصلحهم، كما قال الله في القرآن: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك: ١٤

وقد أنزل الله كتبه؛ لبيان ما يُصلِح الناس وينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

فأنزل التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب، وجعل فيها صلاح العباد وسعادتهم، وأمر الناس بتحكيمها، والتحاكم إليها.

ولمقتضى حكمته سبحانه جعل التوراة والإنجيل يحفظهما الربانيون والأحبار، كما قال تعالى في القرآن: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ المائدة: ٤٤

فلما طال بهم الزمن، وحصل لهم من البعد عن أوامر الله ما حصل: حرفوا هذه الكتب، وأدخلوا فيها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان؛ فارتفع عنها أن تكون كتب هداية وإصلاح، وتضمنت أمورا متناقضة، وأشياء وهمية تخالف العقل الصريح.

وكل من وقف على نُسخ التوراة والإنجيل رأى ما بينها من التفاوت والتناقض، وما يخالف العقل الصريح؛ مما يجعل الناظر فيها يقطع بالتحريف والتبديل.

ولما كان القرآن هو الآية الخالدة، والحجة الباقية تكفل الله بحفظه، كما قال تعالى في القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩

فلم يدخله تحريف، ولم يأته الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، فسلم من التناقض، ومخالفة العقل الصريح.

فهو كتاب هداية ونور وشفاء للناس، واشتمل على حياة الروح والبدن، فيشعر القارئ فيه بالأنس واللذة والراحة والسعادة، وكلما كان الإنسان مقبلا عليه تاليا له حق تلاوته اطمأن قلبه، واستراحت نفسه.

وقد اشتمل هذا القرآن مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعاليم الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه.

والإسلام لا يخاطب البدن فقط، وإنما يخاطب القلب والبدن، بل عنايته بالقلب أبلغ وأعظم من عنايته بالبدن؛ لأن القلب أصل لأعمال البدن، فأعمال البدن تابعة لما قام بالقلب.

كما أن الإسلام يأمر ويرغب أن تُجعَل الدنيا مزرعة للآخرة مع عدم نسيان أن يأخذ المرء بنصيبه من الدنيا.

والآخرة فيها النعيم المقيم الذي لا ينفد لمن أطاع الله في الدنيا، وعمل لما بعد الموت.

وهذه حقيقة مهمة دعا إليها الإسلام وبينها غاية البيان، فالحياة الآخرة أكمل من الحياة الدنيا، وهي الحياة الخالدة التي لا موت فيها، والناس فيها إما مُنَعَّمون نعيما لا ينقطع، أو مُعَذَّبون عذابا عظيما.

والله قد جعل السبيل الوحيد لمن يريد الفوز بنعيم الآخرة أن يكون من أهل الإسلام، وأن يلتزم تعاليمه.

والإسلام لمن أراد أن يحكم عليه: عليه أن ينظر إلى تعاليمه، لا إلى المنتسبين إليه؛ إذ إن المنتسبين إليه بشر يخطئون ويصيبون، وأخطاؤهم إنما تنسب إليهم، لا إلى الدين الذي ينتسبون إليه.

وهذا يدركه كل عاقل، فأخطاء بعض الأطباء لا يجعل الطب خطأ، وإلا لو حملت أخطاء المنتسبين للشيء على الشيء لفسدت الأشياء كلها.

وعدم التزام بعض المسلمين بتعاليم الإسلام يعود عليهم بالنقص، ولا يقدح في الإسلام؛ لأنه قد دعا إلى الصدق، والأمانة، وعدم الغدر، وعدم الفجور في الخصومة، كما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) [أخرجه البخاري].

والإسلام لمن لا يعرفه مبني على الرحمة والرفق والعدل، وقد اشتمل على بيان أن الله هو المعبود وحده؛ لأنه هو الذي أوجد الموجودات من عدم، وهو الذي خلقها، فهم محتاجون إليه احتياجا ذاتيا في إيجادهم وفي أفعالهم، وفي عبوديتهم له. كما اشتمل على بيان عبادات يحبها الله، وتقربهم إليه من الصلاة والزكاة والصوم والحج، إلى غير ذلك، وبها يتلذذون ويأنسون.

واشتمل أيضا على إصلاح القلوب، والحث على حسن الخلق، وحسن التعامل مع الناس، كما أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ النحل: ٩٠

وهذا من رحمة الإسلام وعدله.

وإن الناظر في تعاليم الإسلام يجدها تحقق المقصود من خلقهم وهو عبادته سبحانه وحده، كما أنها تحقق مصالح العباد.

فمن رحمة الله بخلقه أن شرع لهم ما فيه صلاحهم، وحرم عليهم ما فيه هلاكهم، فليس هناك ما يفضي إلى مصلحة راجحة إلا وأمر به، وليس هناك ما يفضي إلى مفسدة راجحة إلا ونهى عنه.

فتعاليم الإسلام مبنية على الرحمة والعدل، وتحقيق الألفة بين الناس، وتطهير النفوس، والوصول بهم إلى ما يسعدهم، وما يحصلون به منافعهم في الدنيا والآخرة.

فتجد الصلاة مثلا: تحقق الصلة بين العبد وربه، فكلما أقبل العبد على الصلاة وجد نفسه قريبا من الله، منشرح الصدر باللجوء إليه، مطمئن القلب بالوقوف بين يديه، كما أنها تدعوا إلى الاجتماع والألفة بين المسلمين، فتجدهم يصلون وراء إمام واحد يكبرون بتكبيره، ويركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده.

فما أعظمه من تآلف واجتماع!.

وهذه الصلاة تبين حقيقة ما يدعو إليه الإسلام من الرحمة والرفق واللين والمحبة، والتآلف، والاجتماع، والوحدة.

وتجد الزكاة تحقق هدفا عظيما وهو التآخي، ومواساة الفقراء، وسد حاجات المحتاجين؛ فتجد الغني يتصدق على الفقير، والشبعان يطعم الجائع، والمقتدر يكسو العاري من غير منة ولا أذى؛ فيترتب على هذا وجود مجتمع متكامل، تسوده الرحمة والألفة، والمحبة.

وتجد الصيام يربي المسلم على أعظم الأخلاق وأحسنها، ويذكره بنعم الله عليه؛ فيعظم في نفسه الإنفاق والجود، ويقرب العبد من ربه؛ فيأنس ويطمئن، كما أن فيه تقوية للبدن، وحفاظا له من الأمراض والأسقام.

وتجد الحج تتحقق فيه العبودية لله عز وجل، ويجتمع فيه الناس من كل بلد بلباس واحد، يقصدون أمكنة واحدة؛ فيتحقق اجتماع الكلمة، ويحصلون على منافعهم الدنيوية والأخروية.

هذه هي أركان الإسلام ودعائمه، وهي كلها تقوم على الرحمة والعدل والرفق، وتحقق غايات عظيمة، وتخاطب الروح والبدن.

ولذا تجد المسلم المحقق لهذه التعاليم سعيدا، مطمئنا، فرحا بتوفيق الله له، متيقنا بثواب الله.

فما أجملها من حياة، وما أعظمها من عيشة!

وتعاليم الإسلام تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

فتحفظ الدين بإيجاب الواجبات الباطنة والظاهرة التي فيها سعادة الإنسان، والنهي عن التلبس بالمحرمات التي فيها شقاوة الإنسان.

وتحفظ النفس بتحليل الطيبات؛ والأمر بالأكل والشرب، وتحريم قتل النفس بغير حق، والاعتداء عليها، والنهى عن كل ما يؤذيها.

وتحفظ العقل بإعماله بالتفكر والتدبر، وتحريم كل ما يُذهبه.

وتحفظ النسل بتشريع النكاح، والترغيب إليه، والأمر بإعطاء الحقوق للزوجين، وتحريم الزنا ووسائله ومقدماته التي تدعو إلى ضياع الأنساب، ووجود أولاد لا أب لهم ولا أم، ولا مأوى يأويهم؛ فتنتشر الجريمة، وترويع الناس.

وتحفظ المال بالأمر بالمحافظة عليه، والحثَّ على إنفاقه في الخير، وإباحة الكسب الحلال، وتحريم السرقة، والنهي عن الإسراف، وإتلاف المال.

وهذا الحفظ من رحمة الإسلام بالخلق، فلم يأمرهم إلا بما فيه صلاحهم، ولم ينههم إلا عما فيه هلاكهم.

وقد قال الله في القرآن: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

ومن الرحمة الموجودة في تعاليم الإسلام: أن الله سبحانه من رحمته بعباده أن نهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل؛ لأن ذلك يوجب العداوة والبغضاء والتشاحن بين العباد، وهو ظلم وبغي، ونهاهم أيضا عن قتل أنفسهم، قال تعالى في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ النساء: ٢٩

وقد وصف الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله في القرآن: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ التوبة: ١٢٨

وكان حريصا على هداية الناس جميعا، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» أخرجه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» أخرجه مسلم

وكان يصبر على الأذى، ويدعوا بالهداية حتى لمن كان يسبه ظلما وجورا، ويفرح بإسلامه، فعن أبي هريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت

الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا » أخرجه مسلم.

وتعاليم الإسلام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق كلهم.

ومن رحمة الإسلام: أن حرم قتل النفس بغير حق، قال تعالى في القرآن: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما»[أخرجه البخاري]

كما حرم الله الاعتداء؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ البقرة: ١٩٠

ورغب في العفو عند المقدرة، وجعل جزاء هذا العفو الأجر من الله، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠

ومن رحمة الإسلام: أن جعل أعظم رابطة تربط الناس هي: رابطة الدين، فهي تَفضُل وتَعظُم على رابطة النسب والقبيلة، وقد امتن الله على صحابة محمد صلى الله عليه وسلم بها؛ إذ ألف قلوبهم على هذه الرابطة العظيمة، وأخبر سبحانه في القرآن أنها من نِعَم الله الجليلة التي ينبغي أن يُذَكَّروا بها؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾
آل عمران: ١٠٣

فقد كانوا قبل ذلك أعداء يقتتلون، الحروب بينهم دامية طويلة، يأكل قويهم ضعيفهم، ويجهز شريفهم على حقيرهم، حتى جاء الله بالإسلام فألف به بين القلوب، وربط به بين العرب والعجم.

وقد جاء الإسلام بصيانة هذه الرابطة – رابطة الدين – أعظم صيانة، فحرم كل ما يقدح فيها أو ينقصها، فحرم المشي بالنميمة؛ لما فيه من إيقاع العداوة والبغضاء بين أهل الإيمان، وحرم الظلم والاعتداء، كما حرم احتقار المسلم لأخيه المسلم.

وفي هذا المعنى يقول محمد صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»[أخرجه البخاري]

فنهى عما يقدح في الأخوة الإيمانية، ثم علل وبيَّن وجه تحريم تلك الأمور فقال: "وكونوا عباد الله إخوانا"

وهذا فيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد، والتباغض، والتدابر، كانوا إخوانا.

فهذه هي تعاليم الإسلام.

بل جعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم أهل الإسلام كالجسد الواحد، وفي هذا إشارة إلى أن كل فرد من أفراد المسلمين يحن على أخيه المسلم ويتودد إليه، ويرحمه، كما يحن كل عضو من أعضاء الجسد على العضو الآخر، بل وأعظم.

قال صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[أخرجه البخاري]

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خصال الإيمان أن تحب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك، فمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه فقد انتفى عنه كمال الإيمان الواجب، وفي ذلك خسارة أيما خسارة؛ يقول الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[أخرجه البخاري]

فما أعظمه من دين!!

ولما كانت تعاليمه مشتملة على الحق والرحمة والعدل انتشر بين الناس، وأخذ بلب ذوي الألباب، وسيطر على قلوبهم، ولم ينتشر بالسيف كما يزعم ذلك من يزعم، وإنما دخل الناس فيه طوعا واختيارا، ولم يُكرَه أحد في الدخول فيه؛ لقوله تعالى في القرآن: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة، وأبقاهم على دينهم، ولم يقاتلهم إلا بعد نقضهم العهد.

ولم ينه عن الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين أن يُبَروا ويحسن إليهم، كما قال الله في القرآن: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ الممتحنة: ٨

ثم إن حجج الإسلام دامغة، فمن سمعها وهو يريد الحق فسيخضع لها، ويقتنع بها من غير أن يُحتاج إلى إكراهه.

ومما يقطع بأن الإسلام دين رحمة وعدل: أن اليهود والنصارى لما عاشوا في كنف المسلمين كانوا في أمن واستقرار، بعد أن كانوا مضطهدين ذليلين في كنف غير المسلمين، والتاريخ يشهد بذلك.

ومن رحمة الإسلام وعدله: أن شرع الجهاد في سبيل الله، وكان تشريعه؛ لأجل إعلاء كلمة الله، لا لإكراه الناس في الدخول في الدين، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾ البقرة: ١٩٣

ولأجل إقامة العدل ونبذ الظلم ودفعه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾ النساء: ٧٥، وقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ الحج: ٣٩ - ٤٠.

وليس المراد منه الانتقام، والاعتداء؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي من يُؤَمِّره على الجيش: ((ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا ...)) [أخرجه مسلم].

ولا يتشوف الإسلام إلى سفك الدماء، وإنما يدعو إلى قتال من قاتل المسلمين، ويحرم قتل الصغير والمرأة والشيخ.

وأما الأسرى فيُكرَمون، كما قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإنسان: ٨

وقد خير الإسلام الحاكم في الأسرى بين ثلاثة أمور على مقتضى المصلحة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ محمد: ٤

ومن مقتضى العقل: تسويغ قتال من منع إقامة العدل في الناس، وحجز الرحمة عنهم.

ومن رحمة الإسلام وعدله: أن أمر بإقامة الحدود، وإقامة الحدود لا تنافي رحمة الإسلام، بل تؤكد رحمة الإسلام وعدله؛ لأن مقصد الشارع من إقامة الحدود: حياة المجتمع بأكمله، والرحمة بهم، فهي زاجرة لغير من ارتكب ذنبا من الجناة والمعتدين، وجابرة لمن ارتكب الذنب، كما أنها تحقق العدل وترفع الظلم والاعتداء في المجتمع.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ البقرة: ١٧٩

ولذا تجد المجتمعات التي تطبق فيها الحدود تعيش في أمن واستقرار، وتقل فيها الجريمة والاعتداء، وهذا هو العدل والرحمة.

وليس في الحدود المقدرة في الإسلام تجاوز، وإنما تكون بقدر الذنب، فلو نظرنا إلى كون القاتل مثلا يُقدِم على إزهاق نفس بريئة، ويروِع الآمنين، ويشهر عليهم السلاح عرف أن حد القتل مناسبا لجرمه.

والذنوب التي رتب عليها الحد في الإسلام قليلة، كقتل النفس، والسرقة، ونحو ذلك، وإنما رُتب عليها الحد لمفاسدها العظيمة على الفرد والمجتمع.

وختاما: إذا كانت سعادة الإنسان في الدارين معلقة بمعرفة دين الإسلام على حقيقته فيجب على كل من أراد لنفسه النجاة والفلاح أن يبحث عن تعاليم دين الإسلام ويطلع عليها.

ثم يدخل فيه.

والدخول فيه يكون بالنطق بالشهادتين:"أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله".

والجملة الأولى"أشهد أن لا إله إلا الله" معناها: أعتقد بقلبي وأنطق بلساني أنه لا معبود بحق إلا الله.

والجملة الثانية "أشهد أن محمدا رسول الله" معناها: أعتقد بقلبي وأنطق بلساني أن محمدا أرسله الله؛ ليبلغ وحيه.

وقد بُني الإسلام على خمسة أركان؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج) [أخرجه البخاري ومسلم].

أسأل الله أن يهدي الناس للدخول في الإسلام، من أجل أن يتلذذوا بتعاليمه، ويأنسوا بأحكامه، ويفوزوا بنعيم الجنة.

كتبه:

د.أحمد محمد الصادق النجار

١٤٣٧/٢/١٦هـ

البريد الالكتروني: abuasmaa١٢@gmail.com